

العشر الأواخر

فصل في بيان فضل العشر الأواخر من رمضان

مأخوذ من مختصر «لطائف المعارف» للإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ

إعداد

محمد بن سليمان المهنا





المجلس الرابع

﴿ في ذكر العشر الأواخر من رمضان ﴾

في الصحيحين: عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ قالت: كان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دَخَلَ العشرُ؛ شَدَّ مِزْرَهُ وأحيا ليلَهُ وأيقظَ أهله. هذا لفظُ البخاريِّ.

ولفظُ مسلم: أحيا الليلَ وأيقظَ أهلهُ وجدَّ وشَدَّ المِزْرَ (١).

وفي روايةٍ لمسلم عنها؛ قالت: كان النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجتهد في العشرِ الأواخرِ ما لا يجتهدُ في غيره.

كان النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخُصُّ العشرَ الأواخرَ من رمضانَ بأعمالٍ لا يَعْمَلُها في بقيةِ الشهرِ.

﴿ فمنها: إحياءُ الليلِ. ﴾

فيُحْتَمَلُ أَنَّ المرادَ إحياءَ الليلِ كُلِّهِ.

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).



وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِإِحْيَاءِ اللَّيْلِ إِحْيَاءَ غَالِبِهِ.

وَيُؤَيِّدُهُ مَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: عَنْ عَائِشَةَ؛ قَالَتْ: مَا أَعْلَمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ (١).

❁ ومنها: أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَوْقِظُ أَهْلَهُ لِلصَّلَاةِ فِي لَيَالِي الْعَشْرِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ اللَّيَالِي.

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: أَحَبُّ إِلَيَّ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ أَنْ يَتَهَجَّدَ بِاللَّيْلِ وَيَجْتَهِدَ فِيهِ وَيُنْهَضَ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ إِلَى الصَّلَاةِ إِنْ أَطَاعُوا ذَلِكَ.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَطْرُقُ فَاطِمَةَ وَعَلِيًّا لَيْلًا فَيَقُولُ لَهُمَا: «أَلَا تَقُومَانِ فِتْصَلِّيَانِ» (٢).

وَكَانَ يَوْقِظُ عَائِشَةَ بِاللَّيْلِ إِذَا قَضَى تَهَجُّدَهُ وَأَرَادَ أَنْ يُوتِرَ. وَوَرَدَ التَّرْغِيبُ فِي إِيقَازِ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ صَاحِبَهُ لِلصَّلَاةِ

(١) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٢) تقدّم تخريجه، وهو في الصحيحين.



ونضح الماءِ في وجهِهِ.

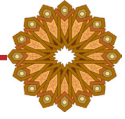
وفي «الموطأ»: أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُصَلِّيَ، حَتَّى إِذَا كَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ؛ أَيَقْظَ أَهْلَهُ لِلصَّلَاةِ، يَقُولُ لَهُمْ: الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، وَيَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

كَانَتْ امْرَأَةٌ حَبِيبٌ أَبِي مُحَمَّدٍ تَقُولُ لَهُ بِاللَّيْلِ: قَدْ ذَهَبَ اللَّيْلُ، وَبَيْنَ أَيْدِينَا طَرِيقٌ بَعِيدٌ، وَزَادُنَا قَلِيلٌ، وَقَوَافِلُ الصَّالِحِينَ قَدْ سَارَتْ قَدَّامَنَا، وَنَحْنُ قَدْ بَقِينَا!

يَا نَائِمًا بِاللَّيْلِ كَمْ تَرُقُدُ قُمْ يَا حَبِيبِي قَدْ دَنَا الْمَوْعِدُ
وَأُخِذَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَوْقَاتِهِ وَرَدًّا إِذَا مَا هَجَعَ الرُّقْدُ
مَنْ نَامَ حَتَّى يَنْقُضِي لَيْلَهُ لَمْ يَبْلُغِ الْمَنْزِلَ أَوْ يَجْهَدُ

❁ ومنها: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَشُدُّ الْمَنْزَرَ

وَإِخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِهِ: فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: هُوَ كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ جِدِّهِ وَاجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ، كَمَا يُقَالُ: فَلَانٌ يَشُدُّ وَسَطَهُ وَيَسْعَى



في كذا. وهذا فيه نظر؛ فإنها قالت: «جَدَّ وشَدَّ المئزر»،
فَعَطَفَتْ شَدَّ المئزرَ على جَدِّه.

والصَّحِيحُ أَنَّ المرادَ اعتزالُهُ للنِّساءِ، وبذلك فسَّرَهُ السَّلَفُ
والأئمَّةُ المتقدِّمونَ.

وقد كان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَالِبًا يَعْتَكِفُ العِشْرَ الأَواخِرَ،
والمعتكفُ ممنوعٌ من قربانِ النِّساءِ بالنِّصِّ والإجماع، وقد
قال طائفةٌ من السَّلَفِ في تفسيرِ قولِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَلْكَنَ بَشْرُوهُنَّ
وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]: إِنَّهُ طَلَبُ لَيْلَةِ القَدْرِ.
والمعنى في ذلك أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا أَباحَ مِباشِرَةَ النِّساءِ في لِيالي
الصِّيَامِ إلى أَنْ يَتَبَيَّنَ الخِيطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخِيطِ الأَسْوَدِ؛ أَمَرَ
مَعَ ذلكَ بِطَلَبِ لَيْلَةِ القَدْرِ، لِئَلَّا يَشْتَغَلَ المُسلمونَ في طوْلِ
ليالي الشَّهِرِ بالاستِمْتاعِ المِباحِ فيفوتُهُم طَلَبُ لَيْلَةِ القَدْرِ،
فَأَمَرَ مَعَ ذلكَ بِطَلَبِ لَيْلَةِ القَدْرِ بِالتَّهَجُّدِ مِنَ اللَّيْلِ، خِصُوصًا
في اللَّيالي المِرجوِّ فيها لَيْلَةُ القَدْرِ، فَمِنَ هُنَا كانَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصِيبُ مِنَ أَهْلِهِ في العِشرينَ مِنَ رَمَضانَ، ثُمَّ
يَعْتَزِلُ نِساءَهُ وَيَتَفَرَّعُ لَطَلَبِ لَيْلَةِ القَدْرِ في العِشْرِ الأَواخِرِ.



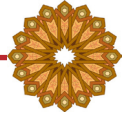
❁ ومنها: اغتساله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين العشاءين

وقال حماد بن سلمة: كان ثابت البناني وحميد الطويل يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيبان ويطيبون المسجد بالنضوح والدُّخنة^(١) في الليلة التي تُرجى فيها ليلة القدر.

وقال ثابت البناني: كان لتميم الداري حلة اشتراها بألف درهم، كان يلبسها في الليلة التي يُرجى فيها ليلة القدر.

فتبين بهذا أنه يُستحبُّ في الليالي التي تُرجى فيها ليلة القدر التَّنظُّفُ والتَّزِينُ والتَّطِيبُ بالغسلِ والطِّيبِ واللباسِ الحسنِ، كما يُشرعُ ذلك في الجمعِ والأعيادِ. وكذلك يُشرعُ أخذُ الزينةِ بالثيابِ في سائرِ الصَّلواتِ، كما قال تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ

(١) النُّضوح: طيب سائل يُرش على فرش المسجد وأرضياته. والدُّخنة: هي البخور الذي يُطيب به البيت أو المسجد. وقد رأيت المداخن "المباخر" في رمضان الماضي ١٤٣٦ هـ تجوب أرجاء المسجد النبوي الشريف في كل ليلة مرتين: الأولى قبل صلاة العشاء، والأخرى قبل صلاة قيام الليل بعد منتصف الليل في العشر الأواخر، وكان الناس يفرحون بدخول تلك المباخر، فإن الطيب سبب لانسراح الصدر وتجدد النشاط.



كُلِّ مَسْجِدٍ ﴿ [الأعراف: ٣١]. وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُتَزَيَّنَ لَهُ.
وَيُرَوَّى عَنْهُ مَرْفُوعًا.

وَلَا يَكْمُلُ التَّزَيُّنُ الظَّاهِرُ إِلَّا بِتَزَيُّنِ الْبَاطِنِ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ
إِلَى اللَّهِ وَتَطْهِيرِهِ مِنْ أَدْنَسِ الذُّنُوبِ وَأَوْضَارِهَا؛ فَإِنَّ زِينَةَ
الظَّاهِرِ مَعَ خَرَابِ الْبَاطِنِ لَا تُغْنِي شَيْئًا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَبْنِي
ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تَكْمٍ وَرِيشًا ۗ وَلِبَاسُ التَّقْوَى
ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦]

إِذَا الْمَرْؤُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيًا

لَا يَصْلُحُ لِمَنَاجَاةِ الْمَلُوكِ فِي الْخُلُوتِ إِلَّا مَنْ زَيَّنَ ظَاهِرَهُ
وَبَاطِنَهُ وَطَهَّرَهُمَا، خُصُوصًا مَلِكِ الْمَلُوكِ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
وَأَخْفَى، وَهُوَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ
وَأَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فَلْيُزَيِّنْ لَهُ ظَاهِرَهُ بِاللِّبَاسِ
وَبَاطِنَهُ بِاللِّبَاسِ التَّقْوَى.



ومنها: الاعتكافُ

ففي الصحيحين: عن عائشة رضي الله عنها؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكفُ العشرَ الأواخرَ من رمضانَ حتى توفاهُ الله^(١).

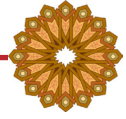
وفي «صحيح البخاري»: عن أبي هريرة؛ قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعتكفُ في كلِّ رمضانَ عشرةَ أيَّامٍ، فلَمَّا كانَ العامُ الذي قبضَ فيه، اعتكفَ عشرينَ^(٢).

وإنما كان يعتكفُ صلى الله عليه وسلم في هذه العشرِ التي يُطلبُ فيها ليلةُ القدرِ قطعًا لأشغاله وتفرغًا لباله وتخليًا لمناجاةِ ربِّه وذكره ودعائه. وكان صلى الله عليه وسلم يحتجرُ حصيرًا يتخلى فيها عن الناسِ فلا يُخالطهم ولا يشتغلُ بهم.

ولهذا ذهب الإمامُ أحمدُ إلى أن المعتكف لا يُستحبُّ له مخالطةُ الناسِ، حتى ولا لتعليمِ علمٍ وإقراءِ قرآنٍ، بل الأفضلُ

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) تقدّم تخريجه.



لَهُ الْإِنْفِرَادُ بِنَفْسِهِ وَالتَّخَلِّيُّ بِمَنَاجَاةِ رَبِّهِ وَذِكْرِهِ وَدَعَائِهِ.

فَالْخُلُوعُ الْمَشْرُوعُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ هِيَ الْإِعْتِكَافُ فِي الْمَسَاجِدِ،
خُصُوصًا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، خُصُوصًا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْهُ،
كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ.

فمَعْنَى الْإِعْتِكَافِ وَحَقِيقَتُهُ: قَطْعُ الْعَلَائِقِ عَنِ الْخَلَائِقِ
لِلاتِّصَالِ بِخِدْمَةِ الْخَالِقِ، وَكَلِّمَا قَوِيَّتِ الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ وَالْمَحَبَّةُ
لَهُ وَالْأُنْسُ بِهِ، أَوْرَثَتْ صَاحِبَهَا الْإِنْقِطَاعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْكَلِيَّةِ
عَلَى كُلِّ حَالٍ.



يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ! لِلْعَابِدِينَ أَشْهَدِي.

يَا أَقْدَامَ الْقَانِتِينَ! ارْكَعِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي.

يَا أَلْسِنَةَ السَّائِلِينَ! جُدِّي فِي الْمَسْأَلَةِ وَاجْتَهِدِي.

يَا رِجَالَ اللَّيْلِ جُدُّوا رُبَّ دَاعٍ لَا يُرَدُّ
مَا يَقُومُ اللَّيْلَ إِلَّا مَنْ لَهُ عَزْمٌ وَجِدُّ



يا مَنْ ضَاعَ عَمْرُهُ فِي لَيْلَةِ لَيْلَةٍ!

اسْتَدْرِكَ مَا فَاتَكَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ فَإِنَّهَا تُحَسَبُ بِالْعَمْرِ.

وَلَيْلَةٌ وَصَلَّ بَاتَ مُنْجِزٌ وَعَدِهِ سَمِيرِي فِيهَا بَعْدَ طَوْلِ مَطَالِ
شَفِيَتْ بِهَا قَلْبًا أُطِيلَ عَلَيْهِ زَمَانًا فَكَانَتْ لَيْلَةً بِلْيَالِي

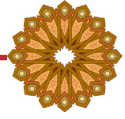
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا

لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ [القدر: ١-٣].

قَالَ مَالِكٌ: بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيَ أَعْمَارَ
النَّاسِ قَبْلَهُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَكَانَهُ تَقَاصَرَ أَعْمَارَ أُمَّتِهِ
أَلَّا يَبْلُغُوا مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي بَلَغَ غَيْرُهُمْ فِي طَوْلِ الْعَمْرِ، فَأَعْطَاهُ
اللَّهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.

وَفِي الصَّحِيحِينَ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِهِ» (١).

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٨)، ومسلم (٧٥٩).



فالمبادرة المبادرة إلى اغتنام العمل فيما بقي من الشهر،
فَعَسَى أَنْ يُسْتَدْرَكَ بِهِ مَا فَاتَ مِنْ ضِيَاعِ العَمْرِ .

تَوَلَّى العُمُرُ فِي سَهْوٍ
فِيَا ضَيْعَةً مَا أَنْفَقَ
وَمَالِي فِي الَّذِي ضَيَّعَ
فَمَا أَغْفَلْنَا عَنْ وَا
أَمَا قَدْ خَصَّنَا اللهُ
بِشَهْرٍ أَنْزَلَ الرَّحْمَا
وَهَلْ يُشْبِهُهُ شَهْرٌ
فَكَمْ مِنْ خَبْرٍ صَحَّ
رَوَيْنَا عَنْ ثِقَاتٍ أَنَّ
فَطُوبَى لِأَمْرِي يَطُدُ
فَفِيهَا تَنْزِلُ الأَمْلا
وَقَدْ قَالَ سَلَامٌ هـ
أَلَا فَادْخِرُوهَا إِنْ
فَكَمْ مِنْ مُعْتَقٍ فِيهَا

وَفِي لَهْوٍ وَفِي خُسْرِ
تُ فِي الأَيَّامِ مِنْ عُمْرِي
تُ مِنْ عُمْرِي مِنْ عُدْرٍ
جِبَاتِ الحَمْدِ وَالشُّكْرِ
بِشَهْرٍ أَيَّامِ شَهْرٍ
نُ فِيهِ أَشْرَفَ الذِّكْرِ
وَفِيهِ لَيْلَةُ القَدْرِ
بِمَا فِيهَا مِنَ الخَيْرِ
نَهَا تُطَلَّبُ فِي الوَثْرِ
بُهَا فِي هَذِهِ العَشْرِ
كُ بِالأَنْوَارِ وَالبِرِّ
يَ حَتَّى مَطَّلَعَ الفَجْرِ
نَهَا مِنْ أَنْفَسِ الذُّخْرِ
مِنَ النَّارِ وَلَا يَدْرِي



المجلس الخامس

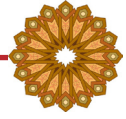
﴿ في ذكر السبع الأواخر من رمضان ﴾

في الصحيحين: عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرى رؤياكم قد توأطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريراً فليتحربها في السبع الأواخر»^(١).

وفي «صحيح مسلم»: عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «التمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز، فلا يُغلبن على السبع البواقي».

قد ذكرنا فيما تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في شهر رمضان على طلب ليلة القدر، وأنه اعتكف مرة العشر الأول منه، ثم طلبها فاعتكف بعد ذلك العشر الأوسط في

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٥)، ومسلم (١١٦٥).



طلبها، وأنَّ ذلكَ تَكَرَّرَ مِنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ أَمْرُهُ عَلَى
اعْتِكَافِ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي طَلِبِهَا وَأَمَرَ بِطَلِبِهَا فِيهِ.

ففي الصَّحِيحِينَ: عن عائِشَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
«تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»^(١).
والأحاديثُ في المعنى كثيرةٌ.

وكانَ يَأْمُرُ بِالْتِمَاسِهَا فِي أَوْتَارِ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ:

ففي «صحيح البخاري»: عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ عن
رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: «التَّمَسُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ
الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ؛ فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي
خَامِسَةٍ تَبْقَى»^(٢).

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِطَلِبِهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ.

وقال الجمهورُ: هيَ مَنْحَصَرَةٌ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَاخْتَلَفُوا

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٠)، ومسلم (١١٦٩).

(٢) تقدّم تخريجه.



في أيِّ ليالي العشرِ أرجى:

وقال الأَكثرونَ: بل بعض لياليه أرجى من بعضٍ، وقالوا:
الأوتارُ أرجى في الجملة.

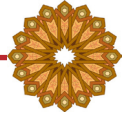
ثمَّ اختلفوا: في أيِّ أوتاره أرجى:

فمنهم من قال: ليلةٌ إحدى وعشرينَ. وهو المشهورُ عن
الشافعيِّ.

وحكي للشافعيِّ قولٌ آخرٌ؛ أنَّ أرجاها ليلةٌ ثلاثٍ وعشرينَ.
ورجَّحت طائفةٌ ليلةً سبعٍ وعشرينَ، وحكاها الثوريُّ عن
أهل الكوفة، فقال: نحنُ نقولُ: هي ليلةٌ سبعٍ وعشرينَ؛ لما
جاءنا عن أبيِّ بن كعبٍ.

وممن قال بهذا أبيُّ بن كعبٍ، وكان يخلفُ على ذلك،
وزرُّ بن حبيشٍ، وعبدُ بن أبي لُبابة.

وروي عن قنانِ بن عبدِ الله النَّهميِّ؛ قال: سألتُ زراً عن



ليلة القدرِ. فقال: كانَ عُمَرُ وَحُذَيْفَةُ وَأُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَشْكُونَ أَنَّهَا لَيْلَةٌ سَبْعٌ وَعَشْرِينَ.
خَرَّجَهُ ابْنُ شَيْبَةَ. وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ.

وَاسْتَدَلَّ مَنْ رَجَّحَ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ بِأَنَّ أَبِي بَنَ كَعْبٍ
كَانَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ وَيَقُولُ: بِالْآيَةِ أَوْ بِالْعَلَامَةِ الَّتِي أَخْبَرَنَا
بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ صَبِيحَتَهَا لَا
شِعَاعَ لَهَا. خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ (١).

وَفِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ»: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّ رَجُلًا
قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلِيلٌ يَشُقُّ عَلَيَّ الْقِيَامُ،
فَمُرْنِي بِلَيْلَةٍ لَعَلَّ اللَّهَ يُوفِّقَنِي فِيهَا لِلَيْلَةِ الْقَدْرِ. قَالَ: «عَلَيْكَ
بِالسَّابِعَةِ». وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرَطِ الْبُخَارِيِّ (٢).

وَأَمَّا الْعَمَلُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ فَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجه مسلم (٧٦٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٤٩)، وهو حديث صحيح كما ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.



أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١). وقيامها إنما هو إحيائها بالتَّهَجُّدِ فِيهَا وَالصَّلَاةِ.

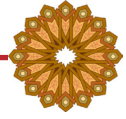
وقد أمرَ عائِشَةُ بالدُّعَاءِ فِيهَا أَيضًا.

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: الدُّعَاءُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ. وَمَرَادُهُ أَنَّ كَثْرَةَ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ الَّتِي لَا يَكْثُرُ فِيهَا الدُّعَاءُ، وَإِنْ قَرَأَ وَدَعَا كَانَ حَسَنًا.

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَهَجَّدُ فِي لَيَالِي رَمَضَانَ، وَيَقْرَأُ قِرَاءَةً مَرَّتَلَةً، لَا يَمُرُّ بِآيَةٍ فِيهَا رَحْمَةٌ إِلَّا سَأَلَ وَلَا بِآيَةٍ فِيهَا عَذَابٌ إِلَّا تَعَوَّذَ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّفَكُّرِ. وَهَذَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ وَأَكْمَلُهَا فِي لَيَالِي الْعَشْرِ وَغَيْرِهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٢).

(١) سيأتي تخريجه، وهو في الصحيحين.

(٢) صدق المؤلف رَحْمَةً اللَّهِ، فالصلاة تجمع ذلك كله: التلاوة والدعاء والذكر والركوع والسجود وغيرها، وعلى ذلك فينبغي للمسلم أن ينشغل بها أكثر من انشغاله بالدعاء أو الذكر المجرد.



رياحُ هذهِ الأسْحارِ تَحْمِلُ أنِينَ المذنبينَ وأنفاسَ المحبِّينَ
وقصصَ التائبينَ.

لو قامَ المذنبونَ في هذهِ الأسْحارِ، على أقدامِ الانكسارِ،
ورَفَعوا قَصَصَ^(١) الاعتذارِ، مضمونها ﴿ فَلَما دَخَلُوا عَلَيْهِ
قالُوا يَأتِيها العَزيزُ مَسْنا وأهْلنا الضُّرُّ وِجْنا بِضَعَةِ مُرْجَةٍ فَأَوْفِ
لنا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَينا ﴾ [يوسف: ٨٨]؛ لَبَرَزَ لَهُمُ التَّوَقُّعُ
عليها ﴿ قالَ لا تَتْرِبَ عَلَياكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمُ وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّحِمينَ ﴾ [يوسف: ٩٢].

قالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ إِنْ
وافقتُ ليلةَ القَدْرِ؛ ما أقولُ فيها؟ قالَ: «قولي: اللهُمَّ! إِنَّكَ
عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فاعْفُ عَنِّي»^(٢).

العَفْوُ مِنَ أسماءِ اللهِ تَعَالَى، وهو المتجاوزُ عن سيئاتِ

(١) القصص جمع قصة وهي العريضة التي يرفعها المحتاج للحاكم أو للغني أو
المسؤول ليطلب فيها مالاً أو شيئاً.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥١٣) وقال: حديث حسن صحيح.



عبادِهِ، الماحي لآثارها عنهم.

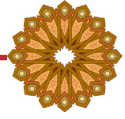
وهو **يُحِبُّ العَفْوَ**، وَيُحِبُّ أَنْ يَعْفُوَ عن عبادِهِ، وَيُحِبُّ
مِنْ عبادِهِ أَنْ يَعْفُوَ بَعْضُهُمْ عن بَعْضٍ، فإذا عفا بعضهم عن
بعضٍ؛ عامَلَهُم بعفوِهِ، وعفوُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ عقوبتِهِ. وكانَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخِطِكَ وَعَفْوِكَ
مِنْ عَقُوبَتِكَ»^(١).

لَمَّا عَرَفَ العارِفونَ جلالَهُ؛ خَضَعُوا، وَلَمَّا سَمِعَ المذنبونَ
بعفوِهِ، طَمَعُوا.

لولا طمَعُ المذنبينَ في العفو؛ لا حَرَقَتْ قلوبُهُم باليأسِ
مِنْ الرَّحْمَةِ، ولكنَّ القلوبَ إذا ذَكَرَتْ عَفْوَ اللهِ؛ اسْتَرَوَحَتْ
إلى بردِ عفوِهِ.

يا كَبِيرَ الذَّنْبِ عَفُو
أَكْبَرُ الأَوْزَارِ فِي
اللهِ مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرُ
جَنْبِ عَفْوِ اللهِ يَصْغُرُ

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦).



وإنَّما أَمَرَ بِسؤالِ العفوِ في ليلةِ القدرِ بعدَ الاجتهادِ في
الأعمالِ فيها وفي ليالي العشرِ؛ لأنَّ العارفينَ يَجْتَهِدُونَ في
الأعمالِ، ثمَّ لا يَرَوْنَ لأنفسِهِم عملاً صالحاً ولا حالاً ولا
مقالاً، فيَرْجِعُونَ إلى سؤالِ العفوِ كحالِ المذنبِ المقصِّرِ.

يا رَبِّ عَبْدُكَ قَدْ أَتَا	كَ وَقَدْ أَسَاءَ وَقَدْ هَفَا
يَكْفِيهِ مِنْكَ حَيَاؤُهُ	مِنْ سَوْءِ مَا قَدْ أَسْلَفَا
حَمَلَ الذُّنُوبَ عَلَى الذُّنُوبِ	بِ الْمَوِيقَاتِ وَأَسْرَفَا
وَقَدْ اسْتَجَارَ بِذَيْلِ عَفْوِ	وَكَ مِنْ عِقَابِكَ مُلْحَفَا
يا رَبِّ فَاغْفُ وَعَافِهِ	فَلَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ عَافَا





المجلس السادس

﴿ في وداع شهر رمضان ﴾

في الصحيحين من حديث: أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا؛ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قامَ ليلةَ القدرِ إيمانًا واحتسابًا؛ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١).

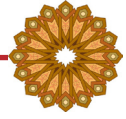
وفيها أيضًا من حديث: أبي هريرة أيضًا؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا؛ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).

وقد روي أن الصائمين يرجعون يوم الفطر مغفورًا لهم، وأن يوم الفطر يُسمى يوم الجوائز، وفيه أحاديث ضعيفة.

إذا كمل الصائمون صيام رمضان وقيامه؛ فقد وفوا ما

(١) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٤٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٠٨)، ومسلم (٧٥٩).



عليهم من العملِ، وبقي ما لهم من الأجرِ، وهو المغفرةُ، فإذا
خَرَجُوا يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ إِلَى الصَّلَاةِ، قُسِّمَتْ عَلَيْهِمْ أَجُورُهُمْ،
فَرَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَقَدْ اسْتَوْفَوْا الْأَجْرَ وَاسْتَكْمَلُوهُ.

مَنْ وَفَّى مَا عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ كَامِلًا؛ وَفَّى لَهُ الْأَجْرُ كَامِلًا،
وَمَنْ سَلَّمَ مَا عَلَيْهِ مَوْفَّرًا؛ تَسَلَّمَ مَا لَهُ نَقْدًا لَا مَوْخَرًا.

قَالَ سَلْمَانُ: الصَّلَاةُ مِكْيَالٌ، فَمَنْ وَفَّى؛ وَفَّى لَهُ، وَمَنْ
طَفَّفَ؛ فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا قِيلَ فِي الْمَطْفُفِينَ.

فَالصِّيَامُ وَسَائِرُ الْأَعْمَالِ عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ: مَنْ وَفَّاهَا؛ فَهُوَ
مِنْ خِيَارِ عِبَادِ اللَّهِ الْمَوْفِّينَ، وَمَنْ طَفَّفَ فِيهَا؛ فَوَيْلٌ لِلْمَطْفُفِينَ.

أَمَا يَسْتَحْيِي مَنْ يَسْتَوْفِي مِكْيَالَ شَهْوَاتِهِ وَيُطْفَفُ فِي مِكْيَالِ
صِيَامِهِ وَصَلَاتِهِ؟! أَلَا بَعْدًا لِمَدِينِ! (١)

فِي الْحَدِيثِ: «أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةُ الَّذِي يَسْرِقُ صَلَاتَهُ» (٢).

(١) هذه العبارة اقتباس من قوله تعالى: ﴿أَلَا بَعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥]

ومناسبتها الحديث عن التطفيف الذي اشتهر به أصحاب مدين قوم شعيب عَلَيْهِ السَّلَام.

(٢) أخرجه أحمد (١١٥٣٢)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.



إِذَا كَانَ الْوَيْلُ لِمَنْ طَفَّفَ مِكْيَالَ الدُّنْيَا؛ فَكَيْفَ حَالُ مَنْ
طَفَّفَ مِكْيَالَ الدِّينِ! ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ
صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿[الماعون: ٤ - ٥].

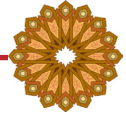
غَدَا تُوَفَّى النُّفُوسُ مَا كَسَبَتْ وَيَحْصُدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا
إِنْ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لَأَنْفُسِهِمْ وَإِنْ أَسَاءُوا فَبِئْسَ مَا صَنَعُوا

كَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ يَجْتَهِدُونَ فِي إِتْمَامِ الْعَمَلِ وَإِكْمَالِهِ
وَإِتْقَانِهِ، ثُمَّ يَهْتَمُّونَ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَبُولِهِ وَيَخَافُونَ مِنْ رَدِّهِ،
وهؤلاء الذين ﴿يُؤْتُونَ مَاءَ آتَاءٍ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

رُويَ عَنْ عَلِيٍّ؛ قَالَ: كُونُوا لِقَبُولِ الْعَمَلِ أَشَدَّ اهْتِمَامًا
مَنْكُمْ بِالْعَمَلِ، أَلَمْ تَسْمَعُوا اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ
مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: الْخَوْفُ عَلَى الْعَمَلِ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ
أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ.

شهرُ رمضانَ تكثرُ فيه أسبابُ الغفرانِ. فمن أسبابِ



المغفرة فيه صيامه وقيامه وقيام ليلة القدر فيه، كما سبق.
ومنها تفتير الصوم والتخفيف عن المملوك^(١). ومنها
الذكر. ومنها الاستغفار، والاستغفار طلب المغفرة، ودعاء
الصائم يستجاب في صيامه وعند فطره، ولهذا كان ابن عمر
إذا أفطر يقول: اللهم! يا واسع المغفرة! اغفر لي.

**فلما كثرت أسباب المغفرة في رمضان؛ كان الذي تفتوته
المغفرة فيه محروماً غاية الحرمان.**

في «صحيح ابن حبان»: عن أبي هريرة؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم
صعد المنبر فقال: «آمين، آمين، آمين». قيل: يا رسول الله!
إنك صعدت المنبر فقلت آمين آمين آمين. قال: «إن جبريل
أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار
فأبعده الله، قل آمين، فقلت آمين. ومن أدرك أبويه أو أحدهما
فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله، قل آمين، فقلت

(١) ومثل التخفيف عن المماليك التخفيف عن الخدم والعمال والموظفين،
فينبغي مراعاتهم والتخفيف عليهم في كل الأوقات وفي رمضان خاصة.



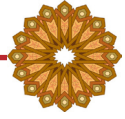
آمِينَ. وَمَنْ ذَكَرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ
فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ آمِينَ، فَقُلْتُ آمِينَ»^(١).

تَرَحَّلَ الشَّهْرُ وَاهْفَاهُ وَأَنْصَرَمَا وَاخْتَصَرَ بِالْفَوْزِ فِي الْجَنَّاتِ مَنْ خَدَمَا
وَأَصْبَحَ الْغَافِلُ الْمَسْكِينُ مُنْكَسِرًا مِثْلِي فَيَا وَيْحَهُ يَا عَظَمَ مَا حُرِمَا
مَنْ فَاتَهُ الزَّرْعُ فِي وَقْتِ الْبِدَارِ فَمَا تَرَاهُ يَحْصُدُ إِلَّا الْهَمَّ وَالنَّدَمَا

وَأِنَّمَا كَانَ يَوْمُ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ عِيدًا لِجَمِيعِ الْأُمَّةِ؛ لِأَنَّهُ
يُعْتَقُ فِيهِ أَهْلُ الْكِبَائِرِ مِنَ الصَّائِمِينَ مِنَ النَّارِ فَيَلْتَحِقُ فِيهِ
الْمَذْنُبُونَ بِالْأَبْرَارِ، كَمَا أَنَّ يَوْمَ النَّحْرِ هُوَ الْعِيدُ الْأَكْبَرُ؛ لِأَنَّ
قَبْلَهُ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا يُرَى فِي يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا أَكْثَرَ
عِتْقًا مِنَ النَّارِ مِنْهُ. فَمَنْ أُعْتِقَ مِنَ النَّارِ فِي الْيَوْمِينَ؛ فَلَهُ يَوْمٌ
عِيدٌ، وَمَنْ فَاتَهُ الْعِتْقُ فِي الْيَوْمِينَ، فَلَهُ يَوْمٌ وَعِيدٌ.

لَمَّا كَانَتْ الْمَغْفِرَةُ وَالْعِتْقُ مِنَ النَّارِ كُلُّ مِنْهُمَا مَرْتَبًا عَلَى
صِيَامِ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِ؛ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِنْدَ إِكْمَالِ الْعِدَّةِ

(١) أخرجه ابن حبان (٤٠٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب
والترهيب (٩٩٧).



بتكبيره وشكره، فقال: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فشكر مَنْ أَنْعَمَ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِتَوْفِيقِهِمِ لِلصِّيَامِ وَإِعَانَتِهِمْ عَلَيْهِ وَمَغْفِرَتِهِ لَهُمْ بِهِ وَعَتَقِهِمْ بِهِ مِنَ النَّارِ أَنْ يَذْكُرُوهُ وَيَشْكُرُوهُ وَيَتَّقُوهُ حَقَّ تَقَاتِهِ. وقد فَسَّرَ ابْنُ مَسْعُودٍ تَقْوَاهُ حَقَّ تَقَاتِهِ بِأَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ.

فيا أرباب الذُّنُوبِ العَظِيمَةِ! الغنيمَةُ الغنيمَةُ في هذه الأيَّامِ الكريمةِ، فما منها عوضٌ ولا لها قيمة! فكم يُعْتَقُ فيها مِنَ النَّارِ مِنْ ذِي جَرِيرَةٍ وَجَرِيمَةٍ! فَمَنْ أُعْتِقَ فيها مِنَ النَّارِ فَقَدْ فَازَ بِالْجَائِزَةِ العَمِيمَةِ وَالمُنْحَةِ الجَسِيمَةِ.

يا مَنْ أَعْتَقَهُ مَوْلَاهُ مِنَ النَّارِ! إِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ بَعْدَ أَنْ صِرْتَ حُرًّا إِلَى رِقِّ الأَوْزَارِ. أَيُبْعِدُكَ مَوْلَاكَ عَنِ النَّارِ وَأَنْتَ تَتَقَرَّبُ مِنْهَا، وَيُنْقِذُكَ مِنْهَا وَأَنْتَ تَتَوَقَّعُ نَفْسَكَ فِيهَا وَلَا تَحِيدُ عَنْهَا؟! وَإِنَّ امْرَأًا يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدٌ



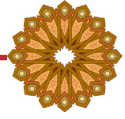
إِنْ كَانَتِ الرَّحْمَةُ لِلْمُحْسِنِينَ؛ فَالْمَسِيءُ لَا يَيْأَسُ مِنْهَا،
وَإِنْ تَكُنِ الْمَغْفِرَةُ مَكْتُوبَةً لِلْمُتَّقِينَ؛ فَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ غَيْرُ
مُحْجُوبٍ عَنْهَا.

إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لَا يَرْجُوهُ ذُو خَطِيئَةٍ فَمَنْ يَجُودُ عَلَى الْعَاصِينَ بِالكَرَمِ
﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن
رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الرُّم: ٥٣].

إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَمَنْ الَّذِي يَرْجُو وَيَدْعُو الْمُذْنِبُ
فِي أَيُّهَا الْعَاصِي! وَكُنَّا ذَلِكَ، لَا تَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ لِسُوءِ
أَعْمَالِكَ، فَكَمْ يُعْتَقُ مِنَ النَّارِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ أَمْثَالِكَ! فَأَحْسِنِ
الظَّنَّ بِمَوْلَاكَ وَتُبْ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ.

إِذَا أَوْجَعَتْكَ الذُّنُوبُ فِدَاوِهَا بَرِّعْ يَدِي فِي اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ مُظْلِمٌ
وَلَا تَقْنِطَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّمَا قُنُوطُكَ مِنْهَا مِنْ ذُنُوبِكَ أَعْظَمُ
فَرَحْمَتُهُ لِلْمُحْسِنِينَ كَرَامَةٌ وَرَحْمَتُهُ لِلْمُذْنِبِينَ تَكْرُمٌ

يَنْبَغِي لِمَنْ يَرْجُو الْعِتْقَ مِنَ النَّارِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَنْ يَأْتِيَ



بأسبابٍ توجبُ العتقَ مِنَ النَّارِ، وهيَ متيسِّرةٌ في هذا الشَّهرِ.
وكانَ أبو قلابَةَ يُعتقُ في آخِرِ الشَّهرِ جاريةً حسناءَ مزيَّنةً
يُرْجو بعثقها العتقَ مِنَ النَّارِ.

وفي حديثِ سَلْمَانَ المرفوعِ الذي في «صحيح ابنِ خزيمة»:
«مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا؛ كَانَ عِتْقًا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ خَفَّفَ فِيهِ
عَنْ مَمْلُوكِهِ؛ كَانَ عِتْقًا لَهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

وفيه أيضًا: «فاسْتَكْثَرُوا فِيهِ مِنْ خَصْلَتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا
رَبُّكُمْ وَخَصْلَتَيْنِ لَا غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا. فَأَمَّا الْخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ
تُرْضُونَ بِهِمَا رَبُّكُمْ، فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالِاسْتِغْفَارُ.
وَأَمَّا اللَّتَانِ لَا غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا؛ فَتَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى الْجَنَّةَ
وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ».

فهذه الخصالُ الأربعةُ المذكورةُ في هذا الحديثِ؛ كلُّ
منها سببٌ للعتقِ والمغفرةِ:

(١) أخرجه ابن خزيمة (١٨٨٧) وهو حديث ضعيف.

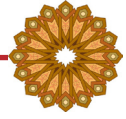


* **فَأَمَّا كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ؛** فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الذُّنُوبَ وَتَمْحُوها
مَحْوًا وَلَا تُبْقِي ذَنْبًا وَلَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ^(١)، وَهِيَ تَعْدِلُ عِتْقَ
الرَّقَابِ الَّذِي يُوْجِبُ الْعِتْقَ مِنَ النَّارِ. وَمَنْ أَتَى بِهَا أَرْبَعَ مَرَارٍ
حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي؛ أَعْتَقَهُ اللهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا
خَالصًا مِنْ قَلْبِهِ؛ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ.

* **وَأَمَّا كَلِمَةُ الْاسْتِغْفَارِ؛** فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ؛ فَإِنَّ
الْاسْتِغْفَارَ دَعَاءً بِالْمَغْفِرَةِ، وَدَعَاءُ الصَّائِمِ مُسْتَجَابٌ فِي حَالِ
صِيَامِهِ وَعِنْدَ فِطْرِهِ. وَقَدْ سَبَقَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: «وَيُغْفَرُ فِيهِ
(يَعْنِي: شَهْرَ رَمَضَانَ) إِلَّا لِمَنْ أَبِي». قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! وَمَنْ
أَبِي؟ قَالَ: مَنْ أَبِي أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ الْحَسَنُ أَكْثَرُوا مِنَ الْاسْتِغْفَارِ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ
مَتَى تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ. وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: يَا بَنِيَّ! عَوِّدْ لِسَانَكَ
الْاسْتِغْفَارَ؛ فَإِنَّ لِلَّهِ سَاعَاتٍ لَا يَرُدُّ فِيهِنَّ سَأَلًا.

(١) المعنى: أنه لا يسبقها في الفضل شيء من الأعمال الصالحة، أي أنها أفضل الأعمال على الإطلاق.



وقد جَمَعَ اللهُ بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ [محمد: ١٩].
وفي بعضِ الآثَارِ؛ أَنَّ إبليسَ قَالَ: أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ
وَأَهْلَكُونِي بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَالِاسْتِغْفَارِ.

والِاسْتِغْفَارُ خِتَامُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كُلِّهَا: فَتُخْتَمُ بِهِ
الصَّلَاةُ وَالْحُجُّ وَقِيَامُ اللَّيْلِ. وَيُخْتَمُ بِهِ الْمَجَالِسُ: فَإِنْ كَانَتْ
ذِكْرًا؛ كَانَ كَالطَّابِعِ عَلَيْهَا، وَإِنْ كَانَتْ لِعُتُوبًا؛ كَانَ كَفَّارَةً لَهَا.
فكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَمَ صِيَامُ رَمَضَانَ بِالِاسْتِغْفَارِ.

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْأَمْصَارِ^(١) يَأْمُرُهُمْ بِخِتَمِ
شَهْرِ رَمَضَانَ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالصَّدَقَةِ؛ صَدَقَةِ الْفِطْرِ؛ فَإِنَّ صَدَقَةَ
الْفِطْرِ طَهْرَةٌ لِلصَّائِمِ مِنَ اللُّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَالِاسْتِغْفَارُ يَرْقَعُ مَا
تَخَرَّقَ مِنَ الصِّيَامِ بِاللُّغْوِ وَالرَّفَثِ.

ولهذا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ: إِنَّ صَدَقَةَ الْفِطْرِ
لِلصَّائِمِ كَسَجْدَتِي السَّهْوِ لِلصَّلَاةِ.

(١) الأمصار هي البلدان، جمع مصر وهو البلد.

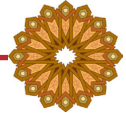


وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ في كتابهِ: قولوا كما قال أبوكم آدمُ: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقولوا كما قال نوحٌ: ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٧]. وقولوا كما قال إبراهيمُ: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٢]، وقولوا كما قال موسى: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [القصص: ١٦]. وقولوا كما قال ذو النون: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

الصَّيَامُ جُنَّةٌ^(١) مِنَ النَّارِ مَا لَمْ يُحَرِّقْهَا، وَالْكَلَامُ السَّيِّئُ يُحَرِّقُ هَذِهِ الْجُنَّةَ، وَالِاسْتِغْفَارُ يُرَقِّعُ مَا تَحَرَّقَ مِنْهَا.

فصيامنا هذا يحتاجُ إلى استغفارٍ نافعٍ وعملٍ صالحٍ لهُ شافعٍ! كم نُحَرِّقُ صيامنا بسهامِ الكلامِ ثمَّ نرَقِّعُه وقد اتَّسَعَ الخرقُ على الرَّاقِعِ! كم نرَفو خروقه بِمخيطِ الحسناتِ ثمَّ

(١) الجُنَّةُ هي الساتر أو الواقِي.



نَقَطُهُ بِحَسَامِ السَّيِّئَاتِ الْقَاطِعِ!

كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذَا صَلَّى صَلَاةً اسْتَغْفَرَ مِنْ تَقْصِيرِهِ
فِيهَا كَمَا يَسْتَغْفِرُ الْمَذْنِبُ مِنْ ذَنْبِهِ.

إِذَا كَانَ هَذَا حَالَ الْمُحْسِنِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ، فَكَيْفَ حَالُ
الْمُسِيئِينَ مِثْلَنَا فِي عَادَاتِهِمْ؟!

وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ فِي لَيْلَةِ
الْقَدْرِ بِسُؤَالِ الْعَفْوِ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَجْتَهِدُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي
صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ، فَإِذَا قَرَّبَ فِرَاغُهُ وَصَادَفَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ؛ لَمْ يَسْأَلِ
اللَّهَ إِلَّا الْعَفْوَ كَالْمَسِيءِ الْمُقْصِرِ.

وَأَمَّا سُؤَالُ الْجَنَّةِ وَالِاسْتِعَاذَةُ مِنَ النَّارِ؛ فَمِنْ أَهَمِّ الدُّعَاءِ،
وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْلَهَا نَدْنَدُنٌ»^(١). فَالصَّائِمُ
يُرْجَى اسْتِجَابَةُ دُعَائِهِ، فَيُنْبَغِي أَلَّا يَدْعُو إِلَّا بِأَهَمِّ الْأُمُورِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ

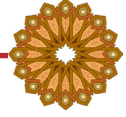
(١) أخرجه أبو داود (٧٩٢).



فَقَدْ فَازَ ﴿ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ
 أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا
 فِي النَّارِ... ﴿ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ. ﴿

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الرَّحِيلِ، وَلَمْ يَبْقَ
 مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ. فَمَنْ مِنْكُمْ أَحْسَنَ فِيهِ فَعَلِيهِ التَّمَامُ، وَمَنْ كَانَ
 فَرَطًا فَلْيَخْتِمْهُ بِالْحَسَنِ فَالْعَمَلُ بِالْخِتَامِ. فَاسْتَمْتِعُوا مِنْهُ بِمَا
 بَقِيَ مِنَ اللَّيَالِي الْيَسِيرَةِ وَالْأَيَّامِ، وَاسْتَوْدِعُوهُ عَمَلًا صَالِحًا
 يَشْهَدُ لَكُمْ بِهِ عِنْدَ الْمَلِكِ الْعَلَامِ، وَوَدِّعُوهُ عِنْدَ فِرَاقِهِ بِأَزْكَى
 تَحِيَّةٍ وَسَلَامٍ.

يَا شَهْرَ رَمَضَانَ! تَرَفَّقْ، دَمَوْعُ الْمُحِبِّينَ لَذَهَابِكَ تَدَفَّقْ،
 قُلُوبُهُمْ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ تَشَقَّقْ، عَسَى وَقْفَةٌ لِلْوَدَاعِ تُطْفِئُ
 مِنْ نَارِ الشُّوقِ مَا أَحْرَقَ، عَسَى سَاعَةٌ تُوبَةٍ وَإِقْلَاعٌ تَرْفُو مِنْ
 الصَّيَامِ كُلِّ مَا تَخَرَّقَ، عَسَى مَنْقَطَعٌ عَنْ رُكْبِ الْمُقْبُولِينَ
 يَلْحَقُ، عَسَى مَنْ اسْتَوْجَبَ النَّارَ يُعْتَقَ، عَسَى أُسْرَاءُ الْأَوْزَارِ



تُطَلَّقُ، عَسَى رَحْمَةُ الْمَوْلَى لَهَا الْعَاصِي يُوَفَّقُ.

عَسَى وَعَسَى مِنْ قَبْلِ وَقْتِ التَّفَرُّقِ إِلَى كُلِّ مَا تَرْجُو مِنَ الْخَيْرِ تَرْتَقِي
فِيُجِبَّرَ مَكْسُورٌ وَيُقْبَلُ تَائِبٌ وَيُعْتَقَ خَطَاءٌ وَيَسْعَدَ مَنْ شَقِيَ



التصميم الداخلي للكتاب

Tharwat Sultan@yahoo.com

Tharwat Sultan

للتواصل: 00201019530152

